ألا التنبيهية وعلاقتها بالسياق القرآني

د. سعد عبد الرحيم الحمداني
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

تاريخ استلام البحث :٢٩/ ١٠ / ٢٠١٤ تاريخ نشر البحث :١٦/ ٢ / ٢٠١٥

ملخص

قال العلماء عن (ألا) التنبيهية أنها أداة تنبيه تدل على تحقق ما بعدها، وجمال الصوت المتكون من الابتداء بالهمزة مروراً باللام ثم ارتفاعاً بالألف المشعرة من مدها بالتنبيه، وكيف أنَّ هذه الأداة اتحدت في السياق القرآني مع غيرها من المفردات؛ لتجمع ذهن المتلقي بكل وسعه وتصبه في ما يراد منها أن تتصوره؛ فيكون مستجيباً لمعناها وفحواها متأملاً غاياتها وما ترمي إليه، في تركيبة قرآنية جميلة، ولا سيما حينما تزداد تأكيداً بمؤكدات أخرى من مثل (إنَّ).

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وبعد؛

فإنَّ للقرآن الكريم شأناً عظيماً لدى المسلمين؛ لأنَّه المنبع الذي ينهلون منه قيمهم الروحية والأخلاقية، فهو كتاب عقيدة وتشريع أولاً، وكتاب إعجاز ثانياً، ما زالت آياته تبهر العقول التي تعي جمال العربية ورصانتها في دقة التعبير وإيصال المعنى إلى المتلقي بإيجاز هادف معجز، وإنْ كان حرفاً في هذا الكتاب العظيم، ومن هذه الحروف (ألا) أداة التنبيه التي كان لها الدور الفاعل في السياق القرآني؛ لذا كان التحليل منصباً بقوة على السياق الذي يضم (ألا)، بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها، بالعلاقة الدلالية القائمة بينهما.

وقد استوى البحث في صورة تمهيد ومبحثين وخاتمة، تناول التمهيد فيها (ألا) وما تدل عليه من المعاني عند النحويين والبلاغيين، ثم ذكر اختلاف العلماء في القول ببساطتها أو القول بتركيبها بأنَّها مؤلفة من همزة الاستفهام وحرف النفي، وبيان أنَّ التي للتنبيه غير مركبة، وأنَّها تدل على التوكيد وتحقق ما بعدها واهتمام المتكلم به، ثم كان بيان علاقة (ألا) بالسياق وأنَّ لها دوراً فاعلاً فيه؛ لأنَّها تؤثر في مجراه بتنبيه المتلقي إلى غرابة ما يحدث فيه.

وتناول المبحثان دلالة (ألا) في السياق القرآني على التنبيه لترفع قوة المعنى في السياق الذي بعدها عن السياق الذي قبلها تضاداً أو توافقاً، فتناول المبحث الأول صور التضاد الواقع بين دلالة السياق قبل (ألا) وبعدها، وكيف أنَّها نبهت إلى تنامي قوة المعنى المتضاد. أمَّا المبحث الثاني؛ فقد تناول صور التوافق الحاصل بين دلالة السياق قبل (ألا) وبعدها، وكيف أنَّها نبهت إلى تنامي قوة المعنى المتوافق. ثم أختُتِم هذا البحث بخاتمة ضمَّت أفكار البحث الرئيسة ونتائجه المهمة التي توصَّل إليها.

أمَّا المنهج الذي اتبعه البحث؛ فكان في التمهيد تاريخياً؛ فقد كان قائماً على اقتفاء آثار العلماء في تناولهم للموضوع، وتحليلياً في المبحثين؛ إذ يقومان على تحليل السياق الوارد فيه (ألا) وسبر غوره لكشف الغاية العظمى من وراء دلالة التنبيه التي تنتشر على طول السياق.

وأمَّا أهم المصادر التي أعانت البحث؛ فكانت في مقدمتها الكتب التي تعتني بحروف المعاني في العربية ومنها: حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت340هـ)، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (ت702هـ) وغيرها، وكتب التفسير البلاغية ومنها: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت538هـ)، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ)، وغيرها من الكتب التي تعنى بالدراسات القرآنية من حيث لغته وبيانه.

ولا يخفى أنَّ الإنسان لا يبلغ الكمال مهما سعى وكدَّ، لكنْ يشفع له أنَّه يبحث عن الحق ويعمل به حتى تدركه منيَّته، ويضع نصب عينيه أنَّه واحد من البشر يعتريه الخطأ والنسيان، ورحم الله القائل: ((إنِّي رأيت أنَّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاَّ قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو

ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر))[١]. ونسأل الله ﷻ أنْ يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم؛ لينفعني الله بها ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، الآية:89].

وشكر الناس من المروءات؛ فشكراً لكل من أعان البحث بنصيحة أو إشارة أو إيماءة فكل ذلك نافعه بإذن الله ﷻ ورافعه مقاماً عند الباحث وعند الله تبارك وتعالى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التمهيد

(ألا) من حروف المعاني قال عنها الزجاجي (ت340هـ) أنَّها ((مفتوحة مخففة تستعمل في افتتاح الكلام للتأكيد والتنبيه))[٢]، واستشهد بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [سورة هود، الآية:60]، وذكرها ابن جني (ت392هـ) فقال: (((ألا) هذه فيها هنا شيئان: التنبيه وافتتاح الكلام, فإذا جاءت معها (يا) خلصت افتتاحاً لا غير، وصار التنبيه الذي كان فيها لـ (يا) دونها))[٣]، وقد تعرض الهروي (ت415هـ)، لهذه الأداة بشيء من التفصيل ذاكراً لها أربعة مواضع، فتكون[٤]:

١- استفهاماً: كقولك: (ألا تخرج؟) و(ألا تقوم؟)، و(ألا رجلَ في الدار).
٢- تمنياً: كقولك: (ألا ماءَ أشربهُ)، و(ألا طعام آكلهُ)، وينصب ما بعد (ألا) في الاستفهام وفي التمني بلا تنوين كما تفعل ذلك بعد (لا) في النفي في قولك: (لا مالَ لزيد).
٣- تحضيضاً: ويكون ما بعدها منونا منصوبا كقولك: (ألا زيداً) و(ألا عمراً) و(ألا قتالاً).
٤- تنبيهاً وافتتاحاً للكلام، وتدخل على كلام مكتفٍ بنفسه، كقولك: (ألا يا زيدُ أقبل)، و(ألا إنَّ القوم خارجون)، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:12].

وقد ذكر لها المالقي (ت702هـ) مواضع أخرى هي[٥]:

١- أنْ تكون تنبيهاً واستفتاحاً وإذا لم تدخل صحَّ الكلام دونها. تقول: (ألا زيد منطلق)، و(ألا ينطلق زيد)، و(ألا انطلق)، و(ألا إنَّ زيداً منطلق)، فتدخل على الجمل الاسمية والفعلية[٦]، قال الله ﷻ: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [سورة هود، الآية:8]،

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ **[سورة هود، الآية:5].**

٢- **أنْ تكون عرضاً؛ فتدخل على الجملة الفعلية لا غير كقولك: (ألا تقوم)، و(ألا تقعد)، وإذا وليتها الأسماء فعلى تقدير الأفعال كقولنا: (ألا رجلاً جزاه الله خيراً)، فتقديره: (ألا تعرفون رجلاً).**

٣- **أنْ تكون جواباً وهو قليل، فيقول القائل: (ألم تقم؟)، و(ألم تخرج؟)، فتقول: (ألا) وهو شاذ بمعنى: بلى.**

وقد عرض لها ابن هشام (ت761هـ) بتفصيل؛ فذكر لها خمسة أوجه هي[٧]:

١. التنبيه؛ فتدل على تحقق ما بعدها وتدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ **[سورة البقرة، الآية:13]، وقوله تعالى:** ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ **[سورة هود، الآية:8].**

٢. التوبيخ والإنكار، كقول الشاعر[٨]:

أَلاَ ارْعِــواءَ لِمَنْ وَلَّــت شَبِيــبتُه وآذَنَــتْ بمشِــيبٍ بعدَهُ هَــرَمُ

٣. التمني كقول الشاعر[٩]:

أَلا عمر ولّى مستــطاعٌ رُجُوعه فــيرأب مَا أثــأت يَد الغــفلات

ولهذا نصب يرأب لأنه جواب تمن مقرون بالفاء

٤. الاستفهام عن النفي كقول الشاعر[١٠]:

أَلاَ اصْــطبارَ لسَلْــمَى أَمْ لَهَا جَلَدٌ إذا أُلاقِــي الَّذِي لاقــاهُ أَمْثــالِي

وهذه الأقسام الثلاثة مختصة بالدخول على الجملة الاسمية.

٥. العرض والتحضيض[١١] وتختص (ألا) هذه بالفعلية نحو قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ **[سورة النور، الآية:22]، وقوله تعالى:**﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ...﴾ **[سورة التوبة، الآية:13].**

القول في تركيبها

اختلفوا في (ألا) الاستفتاحية على وجهين:

أولهما: أنَّها مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية، وقد ذكرها ابن فارس (ت395هـ)، ولم يتعرض لمسألة تركيبها من عدمه؛ فقال: ((ألا افتتاح كلام، وقد قيل: إنَّ الهمزة للتنبيه و(لا) نفي لدعوى في قوله جلّ ثناؤه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية:11-12] فالهمزة تنبيهٌ لمخاطب و(لا) نفي للإصلاح عنهم))[١٢]. وإليه ذهب الزمخشري (ت538هـ)، فقال: (((ألا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً كقوله [تعالى]: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة القيامة، الآية:40]، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدّرة بنحو ما يتلقى به القسم))[١٣]، وتابعه على ذلك المرادي (ت749هـ)، بقوله:((واعلم أنَّ (ألا) قد تكون كلمتين: إحداهما همزة الاستفهام، والأخرى لا النافية، فلا تعد حينئذ حرفاً واحداً؛ بل حرفين))[١٤]، وقد جعل ابن هشام(ت761هـ) تركيبها مفيدة للتحقيق، فقال: ((وإفادتها التَّحْقِيق من جِهَة تركيبها من الْهمزَة ولَا وهمزة الِاسْتِفْهَام إِذا دخلت على النَّفْي أفادت التَّحْقِيق نحو: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾))[١٥]، والإنكار ما هو إلاَّ نفي، ونفي النفي إثبات؛ لذا أفاد هذا الحرف التوكيد والتحقيق بعد تركيبه[١٦]. ولا يخفى أنَّ (ألا) في جميع أوجهها المذكورة آنفاً باستثناء التنبيه والافتتاح؛ مركبة من حرفين همزة الاستفهام و(لا) النافية[١٧].

ثانيهما: أنَّها بسيطة، وإليه ذهب ابن مالك (ت672هـ)، فقال:((ألا التي للعرض مركبة من لا النافية والهمزة، بخلاف التي للاستفتاح فإنها غير مركبة))[١٨]، وتابعه في هذا أبو حيان (ت745هـ) راداً على من زعم أنَّها مركبة ومنهم الزمخشري (ت538هـ)، فقال: ((ألا: حرف تنبيه زعموا أنَّه مركب من همزة الاستفهام و(لا) النافية للدلالة على تحقق ما بعدها ... والذي نختاره أنَّ (ألا) التنبيهية حرف بسيط؛ لأنَّ دعوى التركيب على خلاف الأصل، ولأنَّ ما زعموا من أنَّ همزة الاستفهام دخلت على (لا) النافية دلالة على تحقق ما بعدها، إلى آخره خطأ؛ لأنَّ مواقع (ألا) تدل على أنَّ (لا) ليست للنفي، فيتمُّ ما ادَّعوه، ألا ترى أنَّك تقول: ألا إنَّ زيداً منطلق، ليس أصله: لا أنَّ زيداً منطلق، إذ ليس من تراكيب

العرب بخلاف ما نظر به من قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة القيامة، الآية:40]، لصحة تركيب: ليس زيد بقادر، ولوجودها قبل (ربَّ) وقبل (ليت) وقبل النداء وغيرها، ممَّا لا يعقل فيه أنَّ (لا) نافية، فتكون الهمزة للاستفهام دخلت على (لا) النافية فأفادت التحقيق))[١٩].

دلالتها على التنبيه

والتنبيه ((بيان الشيء قصداً بعد سبقه ضمناً على وجه لو توجّه إليه السامع الفطن بكليته لعرفه، لكن لكونه ضمنياً ربما يغفل عنه))[٢٠]. وهذا المعنى وثيق الصلة بما في (ألا) من دلالة على التنبيه و((الاهتمام بالخبر الوارد بعده))[٢١]، إذ تهيئ ذهن السامع لما سيأتي من أمر في السياق متعلق بما مضى، يقول الجوهري(ت393هـ) عنها: ((حرف يفتتح به الكلام للتنبيه، تقول: ألا إنَّ زيداً خارجٌ، كما تقول: اعلمْ أنّ زيداً خارجٌ))[٢٢]. وقد يُجمع بينها وبين (يا) توكيداً في نداء وغيره[٢٣]، وقد قال عنها الإربلي (ت692هـ) في معرض حديثه عنها وعن (أما): ((والصحيح عندي أنَّهما حرفا تنبيه إذا كان الغرض من إدخالهما تنبيه المخاطب لئلاَّ يفوته المقصود بغفلته عنه، وحرفا استفتاح إذا كان الغرض مجرد تأكيد مضمون الجملة وتحقيقه))[٢٤]، وتابعه في ذلك السمين الحلبي (ت756هـ)قائلاً: ((ألا حرف تنبيه واستفتاح، وليست مركبةً من همزة الاستفهام ولا النافية؛ بل هي بسيطة، ولكنَّها لفظٌ مشتركٌ بين التنبيه والاستفتاح))[٢٥].

و(ألا) لما فيها من التنبيه و((والتنبيه لا يؤتى إلا في الأمر الغريب))[٢٦]؛ تشد المخاطب وتزيل عنه الغفلة عند سماعه لها في استفتاح الكلام، ولعلَّ التوكيد أتاها من هنا[٢٧]، ((وتدل على اهتمام المتكلم بما يحكيه بعدها))[٢٨]. ليبقى السامع منتبهاً إلى ما قد يأتي بعد الأدلة من خطاب[٢٩]، وهذه غاية ما يراد بـ(ألا) فلها حضورها السياقي فلا تخطؤه العين الباصرة، والذهن المتوقد.

السياق وعلاقته بـ (ألا)

إن المفردات التي يستخدمها المتكلم في كلامه لها – في الأغلب – معنى أوسع من مدى المعنى الذي يطرق البال أول وهلة[٣٠]، ويحكم كل ذلك منتج النص في طريقة استخدامه للمفردة في السياق الذي يراه مناسباً ليخلُص به إلى المعنى الذي يريده[٣١]، وما هذه المفردات بمنأى عن صاحباتها التي قبلها وبعدها، فهي علاقة فريدة تربط بينها ((علاقة

تكاملية؛ فالمفردة تكون السياق, والسياق يوجه معنى المفردة, وبذلك يتحكم كل منهما بالآخر))[٣٢]، فالكلمة نفسها وإن تكررت فلا تعني المعنى نفسه في موضع آخر؛ لأن ((المعنى المجرد أو أصل المعنى يمكن أن يعبر عنه بأكثر من صياغة أو أسلوب تختلف فيما بينها في إيحاءات المعنى الذي تشترك فيه تلك الأساليب جميعاً، أما المعنى الفني؛ فهو الذي لا يمكن التعبير عنه بغير صيغته؛ لأن المفترض أن مبدعه قد اختار من الصيغ والألفاظ ما هو أنسب للتعبير عن تجربته ومعانيه الدقيقة))[٣٣]، والمعنى وإن اكتمل في ذاته فله معنى أو مجموعة معانٍ؛ تناسبه وتقاربه, أو تضاده وتناقضه تقترن معه في علاقات تقوم على (التناسب)[٣٤].

و(ألا) من هذه المفردات حرف ثرٌّ بالمعاني، يتعاضد مع السياق ليرسم هالات من المعاني الكثيرة، فليست مجرد تنبيه عابر مقيد بلحظة حضورها الآني في السياق؛ بل تنطلق دلالتها بعيداً في السياق؛ لتكون حداً فاصلاً بين السياق الذي قبلها والسياق الذي بعدها؛ فتكون بقدرتها على التنبيه نقطة تحول في السياق من حال إلى حال، فكأنَّها التقت مع أصل دلالة (التنبيه) على الارتفاع وَالسُّمُو[٣٥]؛ فتكون بحق انقلابة في السياق، ليكون التحليل منصباً على السياق المباشر الذي قبل (ألا) وبعدها؛ مع ما فيها من دلالة تحقيق ما بعدها[٣٦]، لكشف صورة التحول هذه التي أتت من إثارة صوتية؛ لأن الملقي للخطاب ينبه السامع ببعض الأصوات أو الحروف قصد الاستماع إلى ما يحتويه الخطاب من أمر ونهي ونفي وإخبار وغيرها[٣٧]. ولا يكون هذا إلاَّ بما تتميز به (ألا) من خصائص صوتية تتألف منها وهي: (الهمزة) انفجار صوتي، تحمل معاني الظهور والبروز، فتثير الانتباه فتتوافق مع افتتاح الحديث بها. و(اللام) للإلصاق والإلزام؛ لربط انتباه السامع وذهنه بما سيأتي بعدها. و(الألف اللينة) امتداد صوتي لإعطاء السامع فسحة في الزمن لمزيد من الانتباه والاهتمام يستجمع خلالها شتات ذهنه، ومحصلة هذه الدلالات من خصائص أحرفها تتوافق مع وظيفتها في الاستفتاح[٣٨]؛ ليحدث – من ثم – هذا التناسب مع طبيعة صوتها انتباهة في السياق توقف مسيره برهة ليعلم المتلقي أن قد وقع ما يجلب انتباهه ويستدعي منه نظراً فيما مرَّ من سياق، لتأتي (اللام) فتأسر الذهن المنتبه بانتقالة سريعة؛ ليأخذ وقته في فسحة صوتية ليستعد تماماً للسياق القادم.

وهكذا فليست (ألا) مجرد أداة تنبيه عابر؛ بل هي فاعلة في موضعها، تغيير في السياق كبير بين طرفي السياق (ما قبلها وما بعدها)؛ هي فارق بين صورتين، ترشد المتلقي إلى الجمع بينهما: في تضاد تام تكون فيها الثانية ضد الأولى فتهدمه بقوة، فتثبت هي (الثانية) في عدسة الذهن ثبوت الحق الذي لا يتزحزح، أو توافق تام بينهما؛ فتكون الثانية تأييداً للأولى وصقلاً لها، فتزيدها ثباتاً في عدسة الذهن، ويدفع كل ما قد يعتري ذهن المتلقي من موانع قد ترد لرد المعنى الحاصل من السياق الذي قبل (ألا)، وكلتا الصورتين تهيئة ما قبل (ألا) لما بعدها.

المبحث الأول

صور التضاد الواقع بين دلالة السياق قبل (ألا) وبعدها

والتضاد ((نسبة بين معنى ومعنى آخر من جهة عدم إمكان اجتماعهما؛ ولكن يمكن ارتفاعهما معاً؛ كل ذلك مع اتحاد المكان والزمان))[٣٩] ولا يتضاد شيئان إلا على صفتين بينهما عناد[٤٠]، ومن المركوز في الطباع أنَّ الشيء لا يجتمع مع مضاده في آنٍ معاً أبداً، فلا تجد إلى التوفيق بينهما سبيلاً، فإذا ثبت أحدهما في ساحة ذهب الآخر، وإنْ أتيت بالثاني ذهب الأول، ولا يخفى أن المضاد الذي يذهب بالآخر يثبت، فالأمر منوط به وهو الثابت الحق دون غيره من المضاد الذي ثبت ابتداء، وهو باطل؛ لذا كان نصيبه الزوال، ومن ذلك التضاد بين الأبيض والأسود, فلا يمكن أن يلتقيا أبداً؛ فلكل واحد منهما معنى يتضاد مع الآخر ولا يجتمع معه؛ فإذا حاولنا وضعهما في سياق واحد في تجاه واحد؛ فلا نجد إلى ذلك سبيلاً؛ إذ لابد لنا من تغيير ليقربا من بعضهما, وهذا من قبيل تغيير تركيبة الأشياء في أصلها, وهو من الاستحالة بمكان بحيث لا يقع ولا يمكن إيقاعه؛ فيمتنعان.

وهذا شأن (ألا) ببناء معنى بسياق قبلها وتعظيمه في سياقه، لتأتي (ألا) فتهيء لانتقالة عظيمة لسياق آخر له معنى يتعاظم بتضاد تماماً مع ما كان قبل (ألا) فيُجهز عليه، ولا يُبقي منه معنى شيئاً قائماً على ساق، ليبق المعنى الحق ثابتاً واضحاً جلياً، ونجده فيما يأتي:

الإصلاح و الإفساد

قال الله ﷻ:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ **[سورة البقرة، الآية:11-12].**

يبدأ النص بـ(إذا) التي تقتضي الاستقبال إشارة إلى أن هذا الحوار باقٍ ومتكرر إلى فناء هذه الدنيا الفانية مع ما فيها من معنى الاستعداد لرسم صورة المعنى في الذهن وهي (قِيلَ لَهُمْ) بالمضي وإنْ كان السياق استقبال لكنه دلالة على تحقق وقوع الحدث والتركيز عليه ببناء الفعل للمجهول، مع استحضار صورة النصيحة بالمضارعة (لَا تُفْسِدُواْ) و(فِي ٱلْأَرْضِ) فهو إفساد عام منتشر لابد من صدِّه وإلاَّ أخذ وجه الأرض كلها، ليكون جوابهم (قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) بقصر المتكلمين أنفسهم على الإصلاح[٤١]، فجعلوا غالب أحوالهم إصلاحاً دون أن تشوبها شائبة، ولاسيما أنَّها انتقالة سريعة من نهي (لَا تُفْسِدُواْ) إلى إثبات ضده المنهي عنه (مصلحون) باسم الفاعل إشعاراً بإثبات الصفة المزعومة فيهم وتلبسهم بها. فتكون ذروة ادعائهم هذا، فتأتي (ألا) بانتباهة من المتلقي إلى حالهم وادِّعائهم، ثم ليستجمع الذهن رداً على ادعائهم بفسحة لتأمل حالهم، إثباتاً لضد الصفة التي ادَّعوها (إِنَّهُمْ) بتوكيد (إنَّ) و(هم) التي هي بدل من اسم (إنَّ) فهي إثبات لعدسة الذهن على (هم) المدعين زوراً، فتَنْصَب (ٱلْمُفْسِدُونَ) على (هم) بثبات الاسمية الفاعلية لتأكيد تلبسهم بفعل (الإفساد) رداً على ما كان خلافها بفعل كونها خبراً إنكارياً[٤٢] ويؤكده (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) باستحضار عدم شعورهم بزور ادعائهم بقوة الاستدراك (وَلَٰكِن) فهو إثبات لإصلاح هو موهوم في الأصل لا قرار له في الحقيقة.

مقابلة بين صورتين متضادتين: صورة قصر الكفار أنفسهم على الإصلاح استبعاداً لصفة (الإفساد) بقوة بوجود مضادها (لا تفسدوا) وهو ذروة الادعاء، وبين صورة: إثبات الإفساد لهم لتبعد صفة الإصلاح وهو أقوى من الاستبعاد الأول؛ لأنَّ إثبات صفة الفساد إنكار لما يضادها وهي صفة الإصلاح، فينتبه السامع لهذه المقابلة، لتتجمع عنده أسباب رد الصورة الأولى ثم ليتجه صوب الفكرة الثانية، ويؤمن بها، فلا رجعة إلى الصورة الأولى قد قطعت (ألا) عليهم الطريق، فهي ((تزيِّف بتنبيهها ترويجَهم الناشئ من دعواهم

المترشح من (قالوا)))[٤٣]، فلا شك أنَّ الكفار والمنافقين هم المفسدون في الأرض في كل عصر وأوان.

ثم يوجه الخطاب من جديد إلى المنافقين لإصلاح شأن إيمانهم بعد ما أفسدوا في الأرض (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ).ما زالت أفعال الحوار في النص بالمضي دلالة على تحقق وقوعها وإدانة من أجرم وطغى وبغى (قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ) يبدأ السياق باستفهام دال على الجحد والإنكار[٤٤]دخل على فعل مستحضر بالمضارعة (أَنُؤْمِنُ) مشبهاً بإيمان آخر (كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ) لاستحضار إيمان السفهاء[٤٥] في عدسة الذهن تحقيراً لهذا الإيمان والمؤمن به[٤٦]، ليكون الجواب (لا) المقدر رفضاً ورداً لما من شأنه أن يدينهم ويكشف عوارهم، فيكون الاستفهام إنكاراً منهم للحق الذي بعث به لتعلقه بـ (السفهاء) وبذا أبعدوا عنهم صفة السفه بقوة الإنكار للإيمان المتعلق بصفة السفه عندهم، فتأتي (ألا) بانتباهة؛ لتعكر على صفة السفه بعدها، تشد انتباه السامع لما يأتي بعدها (إِنَّهُمْ) تأكيد لمبعدي صفة (السفه) ثم تأكيد (هُمْ) لهم من جديد لتركيز عدسة الذهن عليهم، ثم إسقاط صفة السفة عليهم فجأة من بعد فتثبت عليهم، وزيدت ثباتاً (لَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ) وبذا تكون (ألا) قد هيأت المتلقي لتقريب الصفة التي أبعدت بقوة من الكفار، لتأتي بها، وتلصقها به بقوة، فهي ملازمة لكل أحمق جهول لا يؤمن بهذا الحق العظيم ولا يرعوي عن باطله ويصر على غيِّه.

إنَّها صورتان: تشبيه الكفار إيمانهم بإيمان السفهاء إنكاراً ورفضاً لوقوع مثل هذا الشبه، وصورة مضادة تماماً تتعاظم بكل مفردة في السياق بإثبات سفههم بتوكيد (ألا) و(إنَّ) و(هم)، وزيدت توكيداً بكونهم لا يعلمون، فهي سفاهة فوق سفاهة، ((وإنما سمى الله المنافقين سفهاء؛ لأنَّهم كانوا عند أنفسهم عقلاء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء، ورد أبلغ رد في تجهيلهم))[٤٧].

استبعاد النصر وتقريبه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾. [سورة البقرة، الآية:214]

لا بدَّ للمؤمن أنْ يعتبر بحال المؤمنين من الأمم السابقة وما جرى عليهم من الابتلاء في دينهم وأصابتهم البأساء والضراء، والفتن المزلزلة ليرى الله ﷻ ثباتهم، فالتمسك بالحق لابد له من تضحية، وبذل الغالي والنفيس لدرك الغاية العظمى وهي رضا الله ﷻ، ومنها ما يحكيه القرآن الكريم من حال الرسول[٤٨] ﷺ مع من حوله من المؤمنين وهم في الضيق الشديد إذ أطبقت عليهم الفتن في المعركة حتى استبطؤوا نصر الله فقالوا: (مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ) يبدأ السياق بـ(متى) استفهام عن زمان إتيان النصر، وهم قد علموا أن نصر الله آت لا رادَّ لفضله، فإذا أراد الله ﷻ النصر، وحان حينه فهو واقع لا محالة، ولاسيما هو نصر مضاف إلى الله ﷻ، فهو استبطاء للنصر[٤٩] وحسبُ، تضاد بين الوثوق بقرب نصر الله وبين استبطائه الذي يقوى ويقوى ويعضده تأخر الرد المتأتي من طبيعة الاستفهام وهو هنا ليس على أصل معناه؛ ليحد به زمان معين، إنَّما هو بمعى الاستبطاء، فيتعاظم شعور الاستبطاء، ((غايةُ الغاياتِ القاصيةِ ونهايةُ النهايات النائيةِ كيف لا والرسلُ مع علوّ كعبهم في الثبات والاصطبارِ حيث عيلَ صبرُهم وبلغوا هذا المبلغَ من الضجر والضجيج عُلم أن الأمرَ بلغ إلى غاية لا مطمح وراءَها))[٥٠].

لتأتي (ألا) بانتباهة تقطع تمادي هذه العاطفة، وتكبح جماح السؤال بـ(متى)، ثم امتداد الألف لتأخذ النفس وقتها في تلقي مضاد استبطاء النصر، امتداد توازي امتداد تأخر جواب (متى)، وهو قرب النصر وليس عاجله بسياق يعج بالمؤكدات[٥١] فيبدأ بـ (إنَّ) الداخلة على الجملة الاسمية (نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيب) ليقوى إسناد القرب إلى نصر الله، ويمنع صفة أخرى قد تضاده هي البعد، ولا يكون مثل هذا التوكيد إلاَّ في الرد على متردد[٥٢]، لإزالة التردد الحاصل تجاه قرب (نصر الله) و((قيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر))[٥٣]. وهو تردد نفسي يثبت أن الصحابة بشر والرسول ﷺ أيضاً يصيبهم ما يصيب البشر الآخرين من حزن وألم وتأثر فقد طلبوا النصر((طلبا وتمنيا له، واستطالة لمدة الشدة لا شكا وارتيابا))[٥٤].

وهكذا كانت (ألا) تهيئة لنفس المتلقي لتضرب صفحاً عن الاستبطاء وتنتقل إلى ضده تماماً ((إسعافاً لمرامهم بالقرب القُربُ الزمانيُّ))[٥٥]. وتوثيق الشعور بالنصر، ((فسكنت نفوسهم من ذلك الإزعاج بانتظار النصر القريب))[٥٦]، وهذا هو اليقين الذي تبعثه في النفس آيات الله ﷻ .

طائر الخير وطائر الشر

قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **[سورة الأعراف، الآية:131]**

إنَّ حال الكفار في كل عصر وزمان أنَّهم يسندون معدن الخير إليهم، ويقصرونه على أنفسهم فما يقع من خير لهم، فهو لحسن مخبرهم وصنيعهم، فإذا ما وقع شر ظنوا أنَّه بسبب معارضيهم ومناوئيهم وهذا أصل باطل (وهو الاغترار بالنفس)؛ لذا ترى سياق فعلهم: (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ) يبدأ بـ(إذا) التي فيها معنى الاستقبال وتحقق الفعل؛ ليتضاد مع مضي الفعل (جَآءَتْهُمُ)؛ لأنَّ ((إذا) تدخل غالباً على لفظ الماضي لدلالة المضي على رجحان الوقوع))[٥٧]، ثم سرعة الجواب (قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ) لينالوها فهي محبوبة إلى القلوب، مقربة إلى النفوس مع إبعاد (سيئة) (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَة) ابتداء بـ(إنْ) الشرطية مع استحضار صورة فعلها (تصبهم) إيذاناً للمتلقي ليرقب الجواب بعدسة ذهنه، ليكون التضاد بين الحسنة والسيئة من الوقوع وعدمه؛ ((لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه. وأمّا السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع إلا شيء منها))[٥٨]. والمصيب هنا (سيئة) هي مزعجة أصلاً؛ فيكون الترقب لما ينتج عن إصابتها، فيكون الجواب (يَطَّيَّرُواْ)[٥٩] استحضار صورة الكفار وهم يتطيرون وما فيها من سوء وقبح، فلا شك أنَّ حكمهم يكون جائراً وناصراً لباطلهم، فكان ذلك (بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ) من المؤمنين، لكنهم يعلمون أنهم منقادون في تطيرهم لطائرهم الذي يطلقونه في السماء فإنْ طار يميناً فخير، وإنْ طار شمالاً فشرّ، فهم لا يعملون بما يؤمنون به وإنْ كان باطلاً، فقد جعلوا الطائر السوء لموسى عليه السلام ومن معه دائماً من دون اختيار من طائرهم وهذا بغي مبني على بغي، فلا يعدلون حتى في باطلهم، فهو باطل مركب، لتأتي (ألا) بانتباهة وحبس للفكر لهدم هذا الباطل المركب ولإنشاء ضد له ينقضه ويبني حقاً ثابتاً، فهو ((استئنافٌ مَسوقٌ من قِبَلِه تعالى لردِّ مقالتِهم الباطلةِ وتحقيق الحقِّ في ذلك))[٦٠]. ويكون هذا بقصر[٦١] (إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) وهو قصر الطائر (المبتدأ) – وقد يكون خيراً أوشراً[٦٢] – على (عِندَ ٱللَّهِ) (الخبر) فلا تغادر هذه الإخبار أبداً في اعتمادهم على الطير في تحديد الخير والشر وأنَّهما من عند الله ﷻ حصراً، وسبب خيرهم وشرهم عند الله، وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح، والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة

والسيئة، وليس شؤم أحد ولا يُمْنه بسبب فيه[٦٣]. فكيف يكون الطير هو المتسبب في الخير والشر وهو مخلوق مثلهما، وانتهاء بهدم ما ادعوه من أنَّ السيئة أصابتهم بسبب موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فكيف يجعل الله السوء في نبيه عليه السلام. وبذا تظل الحقيقة قائمة أنَّ الله بيده مقاليد الأمور، فلا تحكم لغير الله ﷻ في خير أو شر ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

الفتنة بمعنى الجهاد والفتنة بمعنى ترك الجهاد

يقول الله ﷻ:﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية:49]

لا ينفكُّ زمان من منافق يعكِّر على أهل الإيمان صفو حياتهم ودينهم يسعى في الفتنة، ولا تجده في مواطن الإيمان والتقوى، ويُرى ذلك واضحاً جلياً في أفعالهم وأقوالهم، فقالو للرسول ﷺ: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ) فبعضهم وليس كلهم مع استحضار صورة القول (ٱئْذَن لِّى) يطلبون الإذن منه ﷺ في ترك الجهاد والقعود، وكان العذر أقبح من الذنب، وهو خشية الفتنة بنساء الروم وهن الجواري بعد الغزو مدعين أنهم يخافون الافتتان بهنَّ[٦٤]، (وَلَا تَفْتِنِّى) باستحضار صورة الافتتان، وهو عدم الخروج للغزو مع الرسول ﷺ فينأون بأنفسهم عن الفتنة -زعموا- في ضدية تامة مع الخروج للجهاد، فقد قرنوا الفتنة بالخروج، إذن لابد من القعود لتحقيق البعد التام عن الفتنة ليعقبه في زعمهم الهدى والرشاد وما تقتضيه عموم النفي، فتأتي (ألا) بانتباهة تعكر عليهم صفو هذا البعد؛ لتوقعهم فيما زعموا الهروب منه أصلاً مبتدأ بـ(في) الظرفية التي تصور الإحاطة التامة، وموضع الظرف (الفتنة) محيط سيِّء لأنها عظيمة مهلكة[٦٥]، ثم (سقطوا) هكذا بتقديم موضع السقوط على فعله، مع مضيِّه إشعاراً بتحقق وقوعه، وقد ((شبه ذلك الكون بالسقوط في عدم التهيؤ له وفي المفاجأة باعتبار أنَّهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، فهم كالساقط في هوة على حين ظن أنه ماش في طريق سهل))[٦٦]، فقد أطبقت الفتنة عليهم، وأحاطت بهم بضد تام مع زعمهم؛ ليكون تخلفهم عن الجهاد مع الرسول ﷺ والقعود مع القاعدين هو الفتنة في حقيقة الأمر، وكان ذلك كله((للتنبيه على ما بعدها [ألا] من عجيب حالهم إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة))[٦٧]، ويُختم السياق بإشارة جميلة إلى التضاد (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ

بِٱلۡكَٰفِرِينَ) كأنَّها إشارة إلى قوة إحاطة الفتنة بهم مثل إحاطة جهنم بالكافرين ((جامعا لهم يوم القيامة، أو الآن؛ لأنَّ إحاطة أسبابها بهم كوجودها))[٦٨]. ولا يخفى ما فيه من تقوية لضد زعمهم وهو قعودهم إبعاداً للفتنة، وتقوى الإحاطة من وجه آخر أيضاً وهو((العدول عن الإتيان بضميرهم إلى الإتيان بالاسم الظاهر في قوله: (لمحيطة بالكافرين) إثبات إحاطة جهنم بهم بطريق شبيه بالاستدلال، لأن شمول الاسم الكلي لبعض جزئياته أشهر أنواع الاستدلال))[٦٩].

فلا نجاة لهم منها أبداً، وليس لهم إلى التنعم فيها من سبيل، وهكذا حال الحمقى الذين يرون الفتنة في الائتمار بأوامر الله ﷻ والانتهاء عما فهي عنه، وقد علم المؤمنون أنَّ الخير كله في العمل بما جاء به هذا الدين الحنيف.

بُعد وقوع العذاب وقربه

قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [سورة هود، الآية:8]

لقد كان الكفار من شدة كفرهم وطغيانهم يتحدون الله ﷻ في العذاب، فيطلبون العذاب بألسنتهم، ولا يرعوون، وهم يعلمون أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق، ويحكي القرآن الكريم سياق قولهم هذا الذي يبدأ بـ(وَلَئِنۡ) بـ(اللام) الموطئة للقسم ؛ لتنشر في جو السياق التأكيد ابتداء بـ(أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ) بالماضي تسريعاً لتأخير العذاب[٧٠] (عَنۡهُمُ) لتجاوزهم بعيداً معضداً بـ(إِلَىٰٓ) لتكون الغاية (أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ) غاية قريبة غير ما أملوا، ((وفيه إيماء إلى أنها ليست مديدة؛ لأنَّه شاع في كلام العرب إطلاق العد والحساب ونحوهما على التقليل، لأنَّ الشيء القليل يمكن ضبطه بالعدد))[٧١]، فزادوا جرأة (لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ) بتأكيد قولهم الآثم باللام ونون التوكيد الثقيلة[٧٢]مع استحضاره إشارة إلى خبث طويتهم وعظم كفرهم، فلا يصدر من سيء إلاَّ سيء، ليكون مقول القول منهم استفهام بـ(ما) لغير العاقل وهم يعلمون أنَّ لله عز وجل يحبسه ((استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء))[٧٣].

ويزيد الاستهزاءَ قوة استحضار صورة الحبس، مع ما فيه من ((إلزام الشيء مكاناً لا يتجاوزه. ولذلك يستعمل في معنى المنع ... [ولسان حالهم] ما يمنع أن يصل إلينا ويحل بنا))[٧٤]، وعذاب الله ﷻ ليس محبوساً حبس عجز؛ بل هو محبوس حبس ترصد، فيظل المترصَّد به خائفاً، ولا تقتصر في دلالتها على الحاضر؛ بل تتعداه إلى المستقبل، فيستمر

الاستهزاء، فيتفاقم ويكبر ليعكس إبعادا كبيراً لوقوع العذاب، فثمة((شيء يمنعه من المجيء فكأنه يريده ويمنعه مانع ... لأنهم لو صدَّقوا به لم يستعجلوه وليس غرضهم الاعتراف بمجيئه والاستفسار عن حابسه))[٧٥]، فلا يُعقل أنَّ عاقلاً يريد العذاب، فيكون السياق قبل (ألا) مليئاً بالتحدي الفاجر والاستهزاء والاستكبار لما تأخر العذاب.

وتأتي (ألا) لتقرِّب ما زعموه بعيداً، بتنبيه يكبح جماع هذا الإبعاد بضده ((لتحقيقه وإدخال الروع في ضمائرهم))[٧٦]، ابتداء بـ(يَوْمَ) تركيزاً للذهن على ظرف الإتيان قبل الإتيان تأكيداً على أن وقوع العذاب مقرر وله يوم ((وتقديم الظرف للإيماء بأن إتيان العذاب لا شك فيه حتى أنه يوقت بوقت))[٧٧]، ثم (يأتيهم) باستحضار صورة الإتيان ؛ ليُرى هوله وليجتمع المتضادان في الذهن، والمحبوس والمستبعد لا يكون له يوم يأتي فيه، ثم صفته التي أتت بطريق النفي (لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) تأكيد بقوة أخرى، فنفي الشيء إثبات لضده وهو العذاب، ولاسيما أن المثبت والمنفي هو الشيء نفسه وقد جمعا معاً في تضاد قوي يضر به طرف الإثبات مع ما في الصرف من دلالة على الرجوع[٧٨]، فيكون نفيه أبلغ إثبات العذاب، وقد أرجع الضميران: ضمير الفاعل في (يأتيهم) والضمير (اسم ليس) إلى (العذاب) في السياق الذي قبل (ألا)، توجيهاً لعدسة الذهن إلى المؤخر الذي لا يظنونه واقعاً؛ بل بعيداً محبوساً عنهم ((على معنى أنَّه لا يرفعه رافع أبداً إنْ أريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنكم دافع؛ بل هو واقع بكم إنْ أريد به عذاب الدنيا))[٧٩].

ثم إخبار آخر عن العذاب (وَحَاقَ بِهِم) بالمضي دلالة على تحقق إحاطته بالكافرين[٨٠]، وحصر الإحاطة بالسوء والمكروه ((ولا يقال حاق إلاَّ في نزول المكروه))[٨١]، ثم (مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) ابتداء بـ(ما) دون ذكر (العذاب) توجيهاً لعدسة الذهن من جديد إليه، روابط تقرب بين المتضادين: (السياق الذي قبل (ألا) وبعدها) فيعقبه قوة في التضاد أكثر، ((والإتيان بالموصول في موضع الضمير للإيماء إلى أن استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم. وتقديره إحاطة العذاب بهم بحيث لا يجدون منه مخلصا))[٨٢]، ثم تقديم (به) الجار والمجرور للتركيز على موضع المستهزأ به المستعجل به أصلاً، ((وإنما وضع (يستهزئون) موضع (يستعجلون)؛ لأنَّ استعجالهم كان على جهة الاستهزاء))[٨٣].

وبذا رأينا أن (ألا) هيأت سياقاً بعدها لتفنِّد ما كان قبلها بقوة؛ لتكون النتيجة أنَّ العذاب واقع عليهم مهما تأخر، فإذا حان حينه وقع وأهلكهم فلا تقوم لهم قائمة أبداً وباؤوا بوبال استهزائهم وتكذيبهم.

المبحث الثاني

صور التوافق الحاصل بين دلالة السياق قبل (ألا) وبعدها

كما أن بعض المفاهيم تتضاد فيما بينها، فكذلك تتفق بعضها فيما بينها في بعض أجزائها أو كلها، ولا يكون هذا الاتفاق في سياق ما إلاَّ وتجده يسعى إلى الاتفاق والتقارب بين أجزائه كلها ، سواء أكان توافقاً صرفياً أو نحوياً أو دلالياً، أو غير ذلك من التوافقات، و((إن ما يجعل السياق سياقاً مترابطاً إنَّما هي ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق ... والتماسك السياقي يقتضي توافقاً بين أجزاء معينة في السياق))[٨٤]

ولا يخفى ((إن التوافق الشكلي في السياق، وسيلة من وسائل ترابط الأبواب فيه))[٨٥]، لتكون النتيجة ذاك الانسجام القائم في المعنى من بدء سياق النص إلى نهايته دون أنْ يعكر صفوه انقطاع أو تضارب لأول سياقه مع آخره، وهذا سر تماسك النص الذي ينادي فيه السياق إلى غاية عظمى لا تكون إلاَّ بهذا التكامل وذاك التوافق.

ونجد هذا التوافق حاضراً بقوة في السياق الذي يكتنف (ألا)، فيسعى السياق قبلها في بناء معنى ما رئيس؛ لتأتي (ألا) فتهيء لانتقالة عظيمة لسياق آخر له معنى يتعاظم بتوافق تام مع ما كان قبلها؛ فيقويه عارضاً إياه في تركيبة أخرى تتعاضد دلالات مفرداتها في رسم صورة المعنى المراد في ثوب آخر، تزيد من جمال معنى السياق الأول، ويكون كالدليل عليه، ويثبت ثبوتاً بعد ثبوت في عدسة الذهن، ونجده فيما يأتي:

التأكيد على اطمئنان القلوب بذكر الله

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ **[سورة الرعد، الآية:28].**

كل أرض تنعم إذا سقيت بما يلائمها، وكذلك القلوب المستعدة لقبول الحق تسقى بماء الإيمان، سياق ملؤه السكينة والأمن يبدأ بـ(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) بالاسم الموصول ليذهب بالذهن إلى من اتصف بصفة (ءَامَنُواْ) بالمضي لتحقق الصفة فيهم، وبكل ما تحمله (ءَامَنُواْ) من دلالات الإيمان وصوره، صورة تجتمع معها صورة أخرى (وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم) بالمضارعة استحضاراً لصورة (الاطمئنان) بما فيها من سكون واستقرار ودعة وأمن[٨٦]، ثم ((العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها))[٨٧]، فهو أمن لا تشوبه شائبة تعكر صفو استقرار (قُلُوبُهُم) بإرجاع الضمير أيضاً إلى من يحمل صفة الإيمان إرجاعاً بالذهن إلى حال السكينة تلك، وهو اطمئنان (بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ)[٨٨]، بجمال ما يشعره باء الإلصاق من قرب ليزيد تشريفاً بالإضافة إلى لفظ الجلالة، وشرف المضاف من شرف المضاف إليه، صورة جليلة لذكر الله بعظمته وهيبته فينزل ذكره على القلب ليمتزج بكل أجزائه وينتشر، ((فإنَّ إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته))[٨٩]، ثم تأتي (ألا) بانتباهة للجملة ((اهتماما بمضمونها وإغراء بوعيه))[٩٠] ليأخذ الذهن وقته لرفع مستوى المعنى القادم، فهو توافق في تصاعد مبتدأ بـ(بِذِكۡرِ ٱللَّهِ) بتكرار المضاف والمضاف إليه بما فيه من أثر باء الإلصاق وشرف الإضافة، ولا يزال السياق قبل (ألا) وبعدها متماسكاً بصلتين وثيقتين تشدهما معاً، وهي (بِذِكۡرِ ٱللَّهِ) والمضارعة في (تَطۡمَئِنُّ)، فقد ((اختير المضارع في (تَطۡمَئِنُّ) مرتين لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره وأنَّه لا يتخلله شك ولا تردد))[٩١]. ثم (ٱلۡقُلُوبُ) وهي الآن من غير الضمير الراجع، فتكون انتقالة من قيد الخاص إلى سعة العموم؛ لتعم كل قلب يذكر الله ﷻ؛ لأنَّها ((بمنزلة التذييل لما في تعريف القلوب من التعميم))[٩٢].

ثم كان رسم السياق بالمسبَّب (اطمئنان القلوب) ابتداء وانتهاء؛ إشارة إلى أهمية طلبه من قبل المتلقي في كل أحواله؛ لأنَّه قوام الحياة الطيبة الآمنة، وأتى السياق بعد (ألا) بالسبب (ذكر الله) ثم المسبَّب (اطمئنان القلوب)، بضد ترتيب السياق قبلها إشارة إلى أهمية اتخاذ الأسباب في أي طلب مشروع يطلبه الإنسان ومنه(اطمئنان القلب)، فلا يقع

المسبَّب إلاَّ بعد وقوع السبب، ولا يخفى أنَّ كثيراً من الناس قد يطلب طمأنينة القلب، فيخطئ طريقه؛ لأنَّ حقيقة الطمأنينة لا تحصل إلاَّ بحقيقة سببها (ذكر الله) فلا يطلب الشيء من غير مظانِّه، بخلاف ديدن المؤمنين الذين يطلبون طمأنينة قلوبهم بذكر الله ﷻ بالقلب واللسان والجوارح.

التأكيد على أنَّ صاحب الوزر يحمل وزره

قال الله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **[سورة الأنعام، الآية:31-32].**

صورة لحتمية خسران الذين كذبوا بلقاء الله وحسرتهم على تفريطهم في حياتهم الدنيا وتكذيبهم بلقاء الله ﷻ، وما يلاقونه يوم القيامة من الأهوال، إذ أتتهم (بَغْتَةً) تأخذهم في سرعة مرعبة تدفعهم دفعاً إلى التحسر، فكأنَّه صار ما من شأنه أنْ ينادى ((والتقدير: يا حسرة احضري؛ فهذا أوانك، والمعنى تنبيه أنفسهم لتذكر أسباب الحسرة))[٩٣]، صورة مفزعة مقترنة بصورة أخرى وهي حالهم أثناء تحسرهم مبتدأ بـ(وَهُمْ يَحْمِلُونَ) بضمير يعود على الذين كذبوا بلقاء الله ﷻ، ليرجع الذهن إلى بداية السياق فتعرف ما وقعوا فيه من الندم والحسرة مع استحضار صورة حمل الأوزار[٩٤] بالمضارعة (يَحْمِلُونَ) ثم (أوزارهم) مازال الضمير الغائب (هم) مستمراً في إرجاع المعاني إلى (ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ) تركيزاً لعدسة الذهن على هؤلاء المجرمين، و(عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) لتصور (على) تسلط الذنوب عليهم وتجدد بقائهم تحتها؛ لذا ((خص الظهر لأنَّه غالباً موضع اعتياد الحمل، ولأنَّه يشعر بالمبالغة في ثقل المحمول، إذ يطيق من الحمل الثقيل ما لا تطيقه الرأس ولا الكاهل))[٩٥]، والظاهر أن هذا الحمل حقيقة[٩٦]، وهو الأنسب لجو الصورة لمعاينتهم الأمر حقيقة ((فإن وزرهم وزر يثقلهم، ولا يقدرون على التخلص منه، ولهذا خلدوا في النار، واستحقوا التأبيد في غضب الجبار))[٩٧]. وهي صورة قد ألفوها في مجتمعهم؛ لأنَّ ((الوزر: حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله؛ ولذلك سمي الذنب وزراً))[٩٨]، ولا يخفي أن المحمول بالثوب ليس مثل المحمول بالظهر تمكناً واستقراراً، ثم (هم) إرجاع الضمير للمعنى إصراراً على إحضار صورة الحمل في الذهن فلا تغادر الاستحضار بالمضارعة، فيقوى هول الصورة ويتعاظم، لتأتي (ألا) عناية بخبرهم وتنبيهاً

وإشارة لسوء مرتكبهم[٩٩]، بسياق متفق مع هذا السياق بانتباهة ثم فسحة لترفع من قوة هول الصورة بتركيبة ذم لصورة حمل الأوزار (سَآءَ)[١٠٠] لتثبت في عدسة الذهن ذكراً فيمنع كل تأويل آخر، ثم الفاعل (مَا) بمعنى الذي مثل أختها (هم) ترجع السياق إلى (الموزور) وهي الأثقال تستقدم الصورة المستحضرة (وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ) إلى هذه التركيبة لاستمرارية ذمها باستمرار تجدد الصورة المستحضرة بـ(يَزِرُونَ) تأكيداً على وزرتيها، وتذكيراً لهم بسوئها في كل حين. فكما أنه كان يمتطي الذنوب في الدنيا ويستسهلها وهي معاص ثقيلة فهو يوم القيامة يحملها ليشعر بحقيقة ثقلها، فقد انشغلوا باللعب واللهو الذي((يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية))[١٠١].

وهكذا زادت (ألا) من هول الصورة وبشاعتها، فحاملو أوزارهم ((بين تلهف على التفريط في الأعمال الصالحة والإيمان وبين مقاساة العذاب على الأوزار التي اقترفوها، أي لم يكونوا محرومين من خير ذلك اليوم فحسب بل كانوا مع ذلك متعبين مثقلين بالعذاب))[١٠٢].

التأكيد على أنَّ ما يفعله المؤمنون من الصالحات قربة لهم

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة التوبة، الآية:99].

إنَّ التقرب إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال التي لا ينالها إلاَّ المخلصون الصادقون ومنهم بعض الأعراب الذين آمنوا بالله تعالى واليوم الآخر باستحضار صورة إيمانهم (يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) الذي لا يخلو من نية صادقة في عمل الصالحات وتجتمع مع (يَتَّخِذُ) باستحضار صورة الاتخاذ مع (ما) الموصولة التي تشير إلى المُنفَق دون تعيين[١٠٣] لتتسع صورته في الذهن فلا تجد شيئاً يصلح أنْ يكون منفقاً طيباً إلاَّ وأخذه مع استحضار صورة إنفاقه (يُنفِقُ)، فهؤلاء الأعراب يتقربون بها إلى الله ﷻ، تتجلى هذه الصور في الذهن ببركتها وتتجدد، فالمعاني على طول السياق مستحضرة، ثم (قُرُبَٰتٍ) بالجمع وهي المسبَّب من الإنفاق، فتجد قربات تكاثرت في جو الصورة لتظهر بمظهر مبارك مهيب كأنَّها تناسب مضارعة أفعالها مع قوة الإسناد في (قُرُبَٰتٍ)[١٠٤] إلى المنفَق، وموضع هذا الاتخاذ (عِندَ ٱللَّهِ) في ظرف شريف مبارك مضاف إلى الله ﷻ موضع جليل مع ما

تصوره (عِندَ) من طلب القرب والتقرب[١٠٥] إلى الله ﷻ، وتجتمع معها صورة أخرى تزيدها بركة (وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ)[١٠٦]، لتكون سبباً للقربة إلى الله ﷻ أيضاً، وهي دعوات الرسول ﷺ للمنفقين المؤمنين؛ ((لأنَّ الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم... فلما كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: يتخذ ما ينفق قربات وصلوات))[١٠٧]، ليتقابل الجمع مع الجمع، يتقابل المسبَّب مع السبب الذي يؤول مسبَّباً، فتجتمع القربة العامة مع القربة الخاصة مع السياق الذي يعج بأفعال المضارعة، لتأتي (ألا) بانتباهة، يتهيأ بها ذهن المتلقي لفسحة من الفكر في شأن هذه القربات تأييداً لها وإثباتاً لها بـ(إنَّهَا) ليبدأ السياق بالتوكيد دفعاً لأية فكرة قد تعتري قلب المتلقي بأن القربة تشوبها شائبة؛ لأنَّها من قبيل الخبر الطلبي[١٠٨]، ثم (الهاء) لإرجاع عدسة الذهن إلى كل ما من شأنه أن يكون قربة[١٠٩] لتأكيد قربتيها، تشد وثاق صورة السياق ما قبل (ألا) إلى ما بعدها لتضمها في بودقة واحدة (قُرۡبَةٌ لَّهُمۡۚ) و(لهم) لتركيز عدسة الذهن على المنفقين فلا تغادرهم إلى غيرهم بعد إرجاع عدسة الذهن إليهم من جديد؛ لكن قيد السياق بعد (ألا) فيتعاظم القربة ويثبت؛ لتكون ((شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد، من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف، مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه))[١١٠]. لذا كان ثوابهم (سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) وعد لهم متحقق لما في السين من تحقيق الوعد[١١١]، و(في) الظرفية لتمام الإحاطة والعناية بالرحمة.

التأكيد على إخلاص الدين لله

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ **[سورة الزمر، الآية:2-3].**

القرآن الكريم كتاب عظيم منزل من الله تعالى على عبده محمد ﷺ نبياً مكلَّفاً وعلى عباد مكلَّفين، وهو حق لا تشوبه شبهة باطل مهما كانت حقيرة، فهو منزه عن ذلك كله، وكان أهم ما دعا إليه الكتاب الكريم هو توحيد الله ﷻ والبعد عن الشرك فكان الخطاب موجهاً إليه ﷺ (فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ) بفاء السببية ((لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه عليه

الصلاة والسلام بالحق))[١١٣]، صورة مهيبة للعبودية الحقة لله ﷻ، تقتضي الحال (مُخۡلِصًا) باسم الفاعل استحضاراً لصورة الفاعل في الذهن ملتبساً بفعل الإخلاص مع ثبات الاسمية فيه وطلبه للتنقية والتهذيب[١١٤]؛ فيكون ((ممحَّضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر))[١١٥]. نقياً لا تشوبه شائبة شرك أبداً، ثم (لَّهُ) لإرجاع الذهن بالضمير (الهاء) إلى من يتوجه إليه بالإخلاص وهو الله ﷻ جمعاً للمعبود والمخلَص له في الذهن بمفعول هو (ٱلدِّينَ) الذي يدل على الذل والانقياد[١١٦].فكانت النتيجة أنْ يكون إفراد الله ﷻ بالعبادة مستفاداً من الحال (مُخۡلِصًا)، لا من تقديم مفعول (فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ) على عامله؛ لأنَّ المأمور به عبادة خاصة[١١٧]، فكان تقديم (مُخۡلِصًا) اسم فاعل (الإخلاص + صاحب الإخلاص) اعتناء بهذا العمل القلبي ، فلابد من استمرار القلب بهذا العمل في شخص الرسول ﷺ ثم في شخص كل مسلم يعبد الله ﷻ بحق.

وتأتي (ألا) بانتباهة لترد أي حركة في ذهن المتلقي تجنح إلى عدم التوافق مع ما بعدها لتزيد الصورة قوة وتأكيداً وفسحة صوتية مهيئة للتوافق القادم؛ لأنَّه ((استئناف مقرر لما قبله من الأمر))[١١٨]، فتبدأ بـ(لِلَّهِ) الجار والمجرور يطرق الذهن ابتداء بـ(لام الملك)، وهو بمعنى الاستحقاق، وتقديم المسند (لِلَّهِ) لإفادة الاختصاص؛ ليكون المعنى: لله الدين الخالص هو مستحقه ومختص به ﷻ[١١٩]، ثم المسند إليه (ٱلدِّينَ) بما فيه من معنى الذل والانقياد من دون شائبة، ليكون الإخلاص هنا عاماً، ليقوى في معناه حتى صار الدين نفسه خالصاً[١٢٠]، فكان تقديم (لِلَّهِ) عناية بغاية الإخلاص، فهو مقصور على الله ﷻ في عموم يعم كل مسلم يجب عليه أنْ يتصف بالإخلاص.

وثمة رابط يشد وثاق السياق قبل (ألا) بما بعدها؛ فإنَّ الله ﷻ ((لما ذكر تنزيل الكتاب وعقب بالأوصاف المقتضية للعبادة والإخلاص ذيَّله بقوله سبحانه: «ألا لله الدين الخالص» على ما تحقق وجهه))[١٢١]. ثم يستمر السياق في تقوية هذا التوافق من طريق الإتيان بضده (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ) وهو ترك الإخلاص فالجملة ((عطف على جملة (ألا لله الدين الخالص) لزيادة تحقيق معنى الإخلاص لله في العبادة وأنه خلوص كامل لا يشوبه شيء من الإشراك ... والوسيلة إذا أفضت إلى إبطال المقصد كان التوسل بها ضرباً من العبث))[١٢٢]. ثم إثبات هذه الضدية بقوة وهاء العذر (مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ)، والصحيح أنَّهم عبدوا الأصنام أكثر من عبادتهم لله، وكان ختام هذا التضاد

الذي يعكس قوة في توافق سياقي (ألا) أنَّ الله ﷻ سيحكم بين الذين اختلفوا في الدين بالتوحيد والإشراك وادعاء كل فريق منهم صحة ما انتحله، ولا يوفق للاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب كل راسخ في الكذب مبالغ في الكفر، فإنَّهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي[١٢٣].

التأكيد على وقوع عذاب الظالمين

قال الله ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [سورة الشورى، الآية:45].

صور متلاحقة تجتمع في استحضارها أفعال المضارعة لتبقى متجددة في عدسة الذهن في كل حين والسياق يعج بالحركة (وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ) وهو إشراك للمتلقي في رؤية حال هؤلاء؛ فتعم كل من أمكن رؤيتهم فتستحضر رؤية السامع، ((استحضار صورة حال الظالمين يوم القيامة في ذهن المخاطب))[١٢٤]؛ ليكون شاهداً على ذلك ولاسيما هو ليس منهم، ويظل السياق على طوله، فكل ما يحصل غير خارج عن هذه المعاينة لـ (ٱلظَّٰلِمِينَ) باسم الفاعل إشارة إلى تلبسهم بالفعل(الظلم)[١٢٥] في دنياهم وعدم انقطاعهم عنها حتى توفاهم الله ﷻ وهم على ذلك، صورة مرعبة: الظالمون وهم يرون العذاب في تضاد مع مضي (لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ) بتحقق رؤية العذاب بمضي الفعل (رأوا)، تم (يَقُولُونَ) باستحضار حال قولهم، استفهام آتٍ من بعد معاينة مؤلمة للعذاب (إِلَىٰ مَرَدّٖ) طلب للغاية (إلى) لتنتهي في (مرد) وهي الرجوع إلى الدنيا وهي إشارة إلى التعلل وتأمل الخير بما تحمله (مرد) من تأمل الرد والرجوع واغتنام فرصة لكنَّها موهومة ولاسيما أنها (من) بعض من كل، فهم أحوج إلى بعض وإنْ قل ولكن لا سبيل، لذا يستمر السياق في بيان ذلهم وعذابهم بإعادة فعل (تَرَىٰهُمۡ) للاهتمام بهذه الرؤية وتهويلها[١٢٦]، مع (يُعۡرَضُونَ) يستمر السياق في استحضار صورة العذاب للكفار وبناء الفعل للمجهول، و(عَلَيۡهَا) والهاء تعود إلى جهنم المعلومة من المقام[١٢٧] زيادة في هول الصورة التي ثبتت مع الاستحضار بالحال (خَٰشِعِينَ) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ) باستحضار

النظر الذي يعبر عن ذلهم ((يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى بمسارقة))[١٢٨].

وهكذا كان السياق مشحون بالحركة في صور كثيرة مرعبة للذين ظلموا، لتضعف هذه الحركة إلى حد المضي مبتدأ بـ(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) بمضي القول والإيمان وزمانه يوم القيامة يقولون ذلك حين يرونهم على تلك الحال دلالة على تحققه[١٢٩]، ثم ثبات الخسران بالاسمية (إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ) لتأكيد خسارتهم لتمنع (إنَّ) مضادها (الفلاح) تماماً ((والتعريف في الخاسرين تعريف الجنس، أي لا غيرهم. والمعنى: أنهم الأكملون في الخسران وتسمى (أل) هذه دالة على معنى الكمال ... حيث نزل خسران غيرهم منزلة عدم الخسران))[١٣٠].

يتحرك السياق من العموم (الخاسرين) إلى الخصوص (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ) خبر مؤكد عن اسم (إنَّ) خسران النفس والأهل يوم القيامة لبعدها عن الجنة بعداً تاماً، وقد كان المؤمنون ((يقولون هذا بمسمع من الظالمين فيزيد الظالمين تلهيبا لندامتهم ومهانتهم وخزيهم. فهذا الخبر مستعمل في إظهار المسرة والبهجة بالسلامة مما لحق الظالمين ... وإنما جيء بحرف إن مع أن القائل لا يشك في ذلك والسامع لا يشك فيه للاهتمام بهذا الكلام إذ قد تبينت سعادتهم في الآخرة وتوفيقهم في الدنيا بمشاهدة ضد ذلك في معانديهم))[١٣١]

لتأتي (ألا) بانتباهة تشعر بنقلة السياق مع فسحة لتهيئة الذهن لتعاظم المعنى المتوافق بين (إنَّ و إنَّ) رابطاً وثيقاً بين السياقين في إشارة إلى تأكيد هذا التوافق، ثم (ٱلظَّٰلِمِينَ) جمع بين الفعل وفاعله في ثبات الاسمية، وإعادة لفظ الظالمين إظهار في مقام الإضمار؛ إعادة لتركيز الذهن عليهم من جديد بكل معاناتهم، ثم (في) الظرفية لتمام إحاطة (عَذَابٖ مُّقِيمٖ) فقد وقعوا فيه واحتوتهم فلا خروج لهم منه؛ لذا كان مقيماً دائم ثابت ((لا يرتحل، ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذي اتخذ دار إقامة لا يبرحها))[١٣٢].

كان السياق قبل (ألا) إثبات خسارة الأهل والنفس وهو المسبَّب الذي كان مفصلاً، ثم التجدد والحركة على طول السياق استحضاراً لهذا الخوف المؤلم يتحرك إلى مستقره ليثبت، ثم السياق بعد (ألا) كان بياناً للمصير والمستقر الذي ينتظرهم وهو ثباتهم في

النار، فلا يخرجون منها بسبب ظلمهم لأنفسهم بمعاصيهم وأكبرها الكفر بالله والشرك به ﷻ، وكان مجملاً (الظالمين)، وخلا السياق تماماً من حركة الأفعال في تركيب توكيدي مليء بالأسماء لتثبت تلك الصور المتحركة، فيجتمع كل ما حصل لهم في قبضة الإجمال (الظالمين) ثم تلقي في العذاب المقيم[١٣٣].

الخاتمة

لا يسع القلم بعد هذا التطواف الجميل في ثنايا القرآن الكريم إلاَّ أن يقف برهة؛ ليرى ما قد كان من نتائج جاد به الذهن مما قد وقر فيه من أطايب المعاني، ومنها:

١. كانت (ألا) في سياقها القائم على التضاد مكينة قوية فلا سبيل للمتلقي بالرجوع إلى ما قبلها؛ لأنَّها حشدت أدلتها وشواهدها بقوة السياق الذي بعدها لنقض المعنى الأول تماماً.
٢. كانت (ألا) في سياقها القائم على التوافق قوية أيضاً ترفع المعنى الأول في السياق قبلها وترفعه أكثر فأكثر، فلا سبيل للمتلقي بالرجوع إلى ما قبلها؛ إذ أصبح المعنى الأول أكثر وضوحاً وجلاءً وثباتاً يكاد ينسي الأول لأنَّها حشدت أدلتها المؤيدة للمعنى الأول وشواهدها بقوة السياق الذي بعدها.
٣. أدوات التوكيد تكاثرت بعد (ألا) إيذاناً بتصاعد قوة المضاد إن كان السياق قائماً على التضاد، أو قوة التوافق إن كان السياق قائماً على التوافق.
٤. لم تكن (ألا) هي السبب الرئيس في تحول السياق تضاداً وتوافقاً؛ بل كانت منبهة إليه دالة عليه: في التنبيه على نقطة التحول في السياق ابتداءً، ثم دفع المتلقي إلى ما قد يعتري السياق من تغير في المعنى نقضاً، فبناء معنى جديد غير الأول تماماً، فيكون تضاداً، أو تغير في المعنى زيادة، فبناء جديد أضاف إلى الأول جديداً دون نقض أصله، فيكون توافقاً.
٥. كانت (ألا) وما لها من معنى التوكيد في الخبر مؤثرة بقوة في إيجاد جو من قوة الربط بين سياقيها، فتوكيد الخبر لا يكون إلاَّ لتردد أو إنكار قد يعتري المتلقي، فيزيله التوكيد، فيكون الخبر من قبيل الخبر الطلبي أو الإنكاري.

٦. **(ألا) التي للتنبيه بسيطة غير مركبة، وهذا ما يناسب طبيعتها الصوتية في إثارة انتباه المتلقي إلى ما يحصل في سياق النص من رفع قوة المعنى تضاداً أو توافقاً.**

٧. **استفادت (ألا) في موازنة السياقين من الأفعال من بعثها الحركة والتجدد والاستمرار في السياق، ومن الأسماء في دلالتها على الثبات، في زيادة قوة التوافق والتضاد.**

الهوامش :

١ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:14/1.

٢ حروف المعاني:11.

٣ الخصائص:197/2.

٤ ينظر: الأزهية في علم الحروف:163–165.

٥ ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: 78–79، ولسان العرب:434/15، والجنى الداني في حروف المعاني:384.

٦ ينظر: امتحان الأذكياء (بحث منشور في مجلة) :215.

٧ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:95/1–98. وينظر: الجدول في إعراب القرآن:295/10.

٨ لم أقف على قائله.

٩ لم أقف على قائله. ولّى: أدبر وذهب. فيرأب: يُجبر ويُصلح. أثأت: صدعت وأفسدت. . يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني:384.

١٠ لم أقف على قائله.

١١ والعرض طلب برِفقٍ ولين وتأدّبٍ، وهو طلب بِحَثٍ وعزم والعرض أرفق منه. ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:140/1، وتاج العروس:487/40، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:391/1.

١٢ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:93.

١٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:62/1، وينظر: شرح المفصّل: 115/8، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب:96.

١٤ الجنى الداني في حروف المعاني (ص: 383)

١٥ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:96/1.

١٦ ينظر: مجلة جامعة أم القرى:ع19–24،ج:161/9.

١٧ ينظر: اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني:45.

١٨ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: 381)

١٩ البحر المحيط في التفسير:100/1–102، وينظر: وينظر الجنى الداني في حروف المعاني:382/1.
٢٠ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:516/1.
٢١ التحرير والتنوير:67/9.
٢٢ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:2544/6، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب:251/4.
٢٣ ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد:487/2.
٢٤ جواهر الأدب في معرفة كلام العرب: 167، وينظر: مجلة جامعة أم القرى:ع19–24،ج:175/9.
٢٥ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:139/1.
٢٦ تفسير ابن عرفة:54/1.
٢٧ ينظر: شرح الفريد:480.
٢٨ تفسير المنار:132/1.
٢٩ ينظر: الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة (رسالة ماجستير):53.
٣٠ ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز:14.
٣١ ينظر: البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق:41.
٣٢ عناصر تحقيق الدلالة في العربية:15.
٣٣ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم:69.
٣٤ ينظر: التقابل في الحديث النبوي الشريف (أطروحة دكتوراه):157.
٣٥ ينظر: ((النون والباء والهاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وَسُمُوّ. ومنه النُّبْهُ والانتباه ، وهو اليقظة والارتفاع من النوم . ونبهته وأنبهته)). معجم مقاييس اللغة:384/5.
٣٦ ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن:93/1، وعلل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي:218.
٣٧ ينظر: الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة:49
٣٨ ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة:124–126.
٣٩ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة:54. و(ارتفاعهما معاً) انتفاؤهما عن شيء واحد في زمان واحد.
٤٠ ينظر: المنطق، د.كريم متى: 26.
٤١ ينظر: علل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي:220/1.
٤٢ الخبر الإنكاري((هو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أنْ يؤكد بأكثر من مؤكد)). البلاغة والتطبيق:108.
٤٣ إشارات الإعجاز:101/1.
٤٤ ينظر: التفسير الوسيط للواحدي:89/1.
٤٥ ((والسَّفَهُ نقص في العقل ... وسَفِهَ الحَقَّ جَهِلَهُ)). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:280/1.
٤٦ ((فيه وجهان: أحدهما: أنهم عنوا بالسفهاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: أنهم أرادوا مؤمني أهل الكتاب.)). تفسير الماوردي = النكت والعيون:75/1.
٤٧ فتح البيان في مقاصد القرآن:94/1.

٤٨ ((والمراد من الرَّسُولُ الجنس لا واحد بعينه)). روح المعاني:499/1.

٤٩ ينظر: التحرير والتنوير:332/2.

٥٠ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:215/1.

٥١ ((فيها أربعة تأكيدات، وهي «ألا» أداة الاستفتاح، وإنّ، والجملة الاسمية، وإضافة النصر إلى الله القادر على كل شيء)). التفسير المنير:244/2.

٥٢ ((أن يكون المخاطب متردداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم، ليتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره)). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:57/1.

٥٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:257/1.

٥٤ روح المعاني:499/1.

٥٥ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:215/1.

٥٦ البحر المحيط في التفسير:396/2.

٥٧ ينظر: الفرق الدلالي بين (إذا) و (إن) الشرطيتين وبلاغة آية (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـــذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ) ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، مهند حسن الشاوي، http://www.almolltaqa.com.

٥٨ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:145/2.

٥٩ ((الطيرة التشاؤم وكانت العرب تزجر الطير فإذا مرت من الشمال تطيرت فأبطل رسول الله ذلك)). غريب الحديث لابن الجوزي:48/2. وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:152/3.

٦٠ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:264/3.

٦١ القصر: ((تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)). البلاغة والتطبيق: 169.

٦٢ الشر لا يُنسب إليه تعالى تأدُّباً، لقوله ﷺ: ((والشر ليس إليك)) وهو جزء من دعاء للرسول ﷺ. ينظر: صحيح مسلم:534/1.

٦٣ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:145/2، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:264/3.

٦٤ وسبب نزول الآية أنَّ الرسول ﷺ لما أراد الغزو (غزوة تبوك) قال لجد بن قيس: ((يا جد! هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال جد: أوَ تأذن لي يا رسول الله ، فإنِّي رجل أحب النساء، وإنِّي أخشى إنْ أنا رأيت بنات بني الأصفر أنْ أفتن؟ فقال ﷺ – وهو معرض عنه –:((قد أذنت لك)). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:1225/6–1226.

٦٥ ((تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرف في جنسه، أي في الفتنة العظيمة سقطوا)). التحرير والتنوير:221/10.

٦٦ المصدر نفسه:221/10.

٦٧ المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

٦٨ أنوار التنزيل وأسرار التأويل:84/3. وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:277/2.

٦٩ التحرير والتنوير:221/10.

٧٠ والعذاب هو عذاب الآخرة. وقيل عذاب يوم بدر، والظاهر أن المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على أنه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:381/2، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:189/4.

٧١ التحرير والتنوير:10/12. والأمة المدة من الزمن وحقيقتها الجماعة الكثيرة من الناس الذين أمرهم واحد، وتطلق على المدة كأنهم راعوا أنها الأمد الذي يظهر فيه جيل فأطلقت على مطلق المدة، أي بعد مدة. ينظر: . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:173/2.

٧٢ ((واللام موطئة للقسم)). التحرير والتنوير:10/12.

٧٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:381/2.

٧٤ التحرير والتنوير:10/12.

٧٥ روح المعاني:215/6.

٧٦ التحرير والتنوير:11/12.

٧٧ المصدر نفسه:11/12.

٧٨ مادة (صرف) في أصلها تدل على رجع الشيء. من ذلك صرفت القوم صرفا وانصرفوا. ينظر: معجم معجم مقاييس اللغة:342/3.

٧٩ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:189/4.

٨٠ ((وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد)). أنوار التنزيل وأسرار التأويل:129/3. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:189/4

٨١ معجم الفروق اللغوية:537/1.

٨٢ التحرير والتنوير:11/12، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:189/4.

٨٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:381/2. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:129/3.

٨٤ مناهج البحث في اللغة:203و204.

٨٥ المرجع نفسه:215/1.

٨٦ ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:4162/7، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:20/5.

٨٧ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:20/5.

٨٨ وقد قيل أنَّ المراد بذكر الله ﷻ : دلائله الدالة على وحدانيته، أو كلامه المعجز، أو ذكره ﷻ باللسان، أو خشية الله ومراقبته بالوقوف عند أمره ونهيه، أو بذكر رحمته ومغفرته. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:528/2، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:20/5. وروح المعاني:141/7، والتحرير والتنوير:138/13–137.

٨٩ التحرير والتنوير:138/13.

٩٠ المصدر نفسه:138/13.

٩١ المصدر نفسه:138/13.

٩٢ المصدر نفسه:138/13.

٩٣ التبيان في إعراب القرآن:490/1.

٩٤ تدل (وزر) على الثقل في الشيء، والأوزار الأثقال، والمراد به الخطايا والآثام. ينظر: معجم مقاييس اللغة:108/6، والبحر المحيط في التفسير:483/4.

٩٥ البحر المحيط في التفسير:483/4، وينظر: التحرير والتنوير:192/7.

٩٦ ينظر: البحر المحيط في التفسير:483/4. وقيل هو مجاز، تمثيل لهيئة عنتهم من جراء ذنوبهم فاستعمل في الجرم والذنب؛ لأنَّه يثقل فاعله عن الخلاص من الألم والعناء، فأصل ذلك استعارة بتشبيه الجرم والذنب بالوزر. ينظر: التحرير والتنوير:191/7و132/14.والأصل في الكلام الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا بقرينة، وصور يوم القيامة من الغيبيات.

٩٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:254/1.

٩٨ معجم مقاييس اللغة:108/6.

٩٩ ينظر: البحر المحيط في التفسير:484/4.

١٠٠ساء فعل ماض، والموصول فاعله. والمخصوص بالذم محذوف أي: حملهم ذلك، وجملة الذم مستأنفة، والمعنى: بئس الشيء شيئا أي يحملونه. ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن:263/1. التبيان في إعراب القرآن:490/1، معاني القرآن وإعرابه للزجاج:242/2.

١٠١السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:417/1. وينظر: البحر المحيط في التفسير:484/4.

١٠٢التحرير والتنوير:191/7.

١٠٣((والأجود تعميم القربات من جهاد وصدقة)). البحر المحيط في التفسير:493/5.

١٠٤قربات: المفعول الثاني لـ (يتخذ). ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:95/3.

١٠٥((عند أداة لحضور الشيء ودنوه)). حروف المعاني والصفات:1.

١٠٦الظاهر عطف (صلوات) على (قربات). ينظر: البحر المحيط في التفسير:493/5، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن:411/2.

١٠٧الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:304/2. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:95/3.

١٠٨الخبر الطلبي: هو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته فيحتاج إلى توكيده. ينظر: البلاغة والتطبيق:107.

١٠٩((والضمير في أنَّها قيل: عائد على الصلوات. وقيل: عائد على النفقات. وتحرير هذا القول أنَّه عائد على ما على معناها، والمعنى: قربة لهم عند الله)). الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط:320/5.

١١٠الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:304/2، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:95/3.

١١١ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:304/2، والبحر المحيط في التفسير:494/5.

١١٢ البحر المحيط في التفسير:493/5.

١١٣إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:240/7.

١١٤مادة (خلص) أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه. ينظر: معجم مقاييس اللغة:208/2.

١١٥الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:110/4. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:240/7.

١١٦ينظر: معجم مقاييس اللغة:319/2.

١١٧ينظر: التحرير والتنوير:316/23.

١١٨إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:241/7.

١١٩التحرير والتنوير:317/23-318.

١٢٠((والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي)). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:407/9.

١٢١روح المعاني:230/12. والتذييل: ((إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه)). الصناعتين: الكتابة والشعر:373/1.

١٢٢التحرير والتنوير:321/23. وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:241/7.

١٢٣ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:241/7.

١٢٤التحرير والتنوير:78/25.

١٢٥ونجد هذا المعنى في قوله تعالى:((﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) [سورة الأنعام، الآية: 82]

١٢٦ينظر: التحرير والتنوير:125/25.

١٢٧ينظر: المصدر نفسه:126/25.

١٢٨الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:231/4.

١٢٩ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:36/8.

١٣٠التحرير والتنوير:128/25-129.

١٣١المصدر نفسه:128/25.

١٣٢التحرير والتنوير:129/25.

١٣٣وينظر لنماذج أخرى:سورة الأنعام، الآية:62. وسورة الأعراف، الآية:54. وسورة يونس، الآيات:54،55،62،66. وسورة هود، الآيات:4،5،18،60،68،95. وسورة النحل، الآيتان:25،59. وسورة النور، الآيتان:63،64. وسورة الصافات، الآيتان:149،153. وسورة الزمر، الآيتان:5،15. وسورة فصلت، الآيتان:53،54. وسورة الشورى، الآيات:5،18،53. وسورة المجادلة، الآيتان:18،19.

ثبت المصادر والمراجع

- **اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني، د. عبد الجبار فتحي زيدان أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني، ط:١، مطبعة الأخوة شارع النجفي، الموصل، ١٤٣٤هـ،٢٠١٣م.**
- **الجنى الداني في حروف المعاني: صنعه الحسن بن قاسم المرادي تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوه والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.**

- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط:٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم, دراسة نظرية تطبيقية, التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة, د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, ط:١, ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق, أ.د. محمد بركات حمدي أبو علي, دار وائل للنشر والتوزيع, ط:١, ٢٠٠٣م.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، الطبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل ١٤٢٠ه، ١٩٩٠م.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط:٣، ٢٠٠٢م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤ م.
- تفسير الماوردي النكت والعيون: تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤٥٠هـ) راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـــ «قم»، ط:١، ١٤١٢هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت،١٤١٢ هـ،١٩٩٢ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط) (د.ت).
- تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ٢٠٠٨ م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:٤، (د.ت).

- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، ٢٠٠٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ط)،(د.ت).
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، ط:١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين ابي محمد عبد الله بن هشام الانصاري ، تحقيق : الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، الطبعة السادسة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د.يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:١، ١٩٨٧م.
- المساعد على تسهيل الفوائد، شرح منقح مصفى للإمام الجليل بهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، ط:١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، (تفسير أبي السعود) ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المنطق، د. كريم متى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين بن علي بن بدر الدين بن محمد الإربلي، مصر(د ط)، ١٨٧٧م.
- حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق وتقديم: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، (د ط)، (د ت).
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق : أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- شرح الفريد، عصام الدين الإسفراييني (ت٩٥١هـ)، ط١، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م، ضبط نصه وحققه وعلق عليه: نوري ياسين حسين، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء .
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي)، عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط:٨، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.

- عناصر تحقيق الدلالة في العربية (دراسة لسانية), د. صائل رشدي شديد, الأهلية للنشر والتوزيع, عمان, الأردن، ط:١, ٢٠٠٤م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥ه)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠ه.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٠٦٧ه)، مكتبة المثنى، بغداد، (د ط)، ١٩٤١م.
- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م
- الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط «هو إعراب القرآن مستلًّا من (البحر المحيط) لأبي حيان الغرناطي (ت٧٤٥ه)، د. ياسين جاسم المحيميد.
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦ هـ) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناجي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م .
- غريب الحديث ، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط:١، ١٩٨٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت١٠٩٣ه)، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، (ت٦٨٦ه)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن، المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٣٩٥ ه، ١٩٧٥م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣ه)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧ه ،١٩٨٧م.
- صحيح مسلم: أبي الحسن مسلم بن الحجاج القيشيري النيسابوري (٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥ه)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤١٨ه.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣ه)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ه، ١٩٩٥م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط:١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.
- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أبو بلال أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط:١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
- حروف المعاني والصفات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٩٨٤م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، قدم له : محمد بن صالح العثيمين وعبد الله بن عبد العزيز العقيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)،١٩٩٠.
- المساعد على تسهيل الفوائد، شرح منقح مصفى الإمام الجليل بهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط:٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- التقابل في الحديث النبوي الشريف (دراسة بلاغية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان), أسماء سعود أدهام خطاب المختار, أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب, قسم اللغة العربية, جامعة الموصل, إشراف: أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني, ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

- الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ.
- علل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي (ت ٩١١هـ) (أطروحة دكتوراه) طه شدَّاد حمد رمضان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م

البحوث المنشورة في الدوريات والدراسات الجامعية

- ٩. امتحان الأذكياء، محمد بن بير علي البركوي (ت٩٨١هـ) (من أول حروف التنبيه إلى نهاية الكتاب)، تحقيق وتعليق: أ.م.د. مهند جاسم محمد و م.م. نيدرا علي عباس، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج:١٨، ع:٦، آب، ٢٠١١.

البحوث الرقمية المنشورة في الشبكة العالمية (الانترنت)

- الفرق الدلالي بين (إذا) و (إن) الشرطيتين وبلاغة آية (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ) ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، مهند حسن الشاوي، .http://www.almolltaqa.com
- مجلة جامعة أم القرى، مجموعة من المؤلفين، جامعة أم القرى، ع١٩-٢٤، .http://uqu.edu.sa/page/ar/

Abstract

Scientists say that " ألا " is a notifying tool. It refers to the achievement of what follows it. The beauty of sound that is composed of "ا" then " ل " finally rising with " ا " that gives the feeling of warning from it extension. And how this tool is merged with the Quranic context with the other items to gather the attention of the hearer as a whole and put it in what picture intended to be felt. It will be respondent to its meaning and substance and reconsidering its ends and what it wants to fulfill in a beautiful Quranic structure. This is clear when there is another emphatic structure like"إن"